وفــــاق
لا اختــــلاف فيه

obeikandl.com

obeikandl.com

وِفَـاقٌ

لا اختلافَ فيه

وِفَاقٌ لا اختلافَ فيه بين ما يُوحي الكونُ به، وما يدعو القرآنُ إليه.

نظام الكون ـ كما نرى ـ دقيقٌ ومُعَبِّرٌ عن غاية.

والإنسان يتعلَّم من الكون دِقَّةَ النظام، وتحقيقَ الغاية.

وكُلَّما تعمَّق الإنسان في جزئيات هذا الكون وما اشتمل عليه، أفاد علماً، وازداد فضلاً.

ونرى القرآن الكريم يُخاطِب الإنسان ـ من خلال حديثه عن آيات الله في النفس وفي الكون ـ لتكون التذكرة به قائمة مع الإنسان حيث كان.

فإذا قرأنا هذه الآيات من سورة "الأعراف":

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.[1]

(1) الأعراف: ٥٤ ـ ٥٦.

obeikandl.com

نستطيع أن نقف على هذه الحقائق، التي تُرينا مَدَى التوافق بين ما يُوحي به الكونُ، وما يدعو إليه القرآن الكريم.

وتلك هي الحقائق:

الحقيقة الأولى:

الحديث عن الربوبية في قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

فربُّكم ـ أيُّها الناس ـ وَرَبُّ الكونِ كلِّه وَاحِدٌ، وهو ربُّ كُلِّ شيء.

هو الذي خلقكم، والذين من قبلكم.

وهو الذي جعل لكم الأرضَ فِراشاً، والسماءَ بناءً.

ولا تفاوُت أو تباين بين خَلْقٍ وخَلْقٍ.

بل يُرى التعاون والتناسب والتوافق.

ولا يَخفى ما في قوله: ﴿ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ من فائدةٍ في تعليم الإنسان، وهو قادرٌ ـ سبحانه ـ أن يخلقها في لحظةٍ واحدة.

الحقيقة الثانية:

أنَّ هذه الربوبيَّة تُدبر هذا الكون بصورة مرئيةٍ للإنسان، نافعةٍ له.

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾.

ولا أحدَ ـ في أيِّ مكانٍ كان ـ يغيب عنه تقلُّبُ الليل والنهار، وما في ذلك من عِبرةٍ لأولي الأبصار.

obeikandi.com

﴿ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ أي: يجعل الليلَ كالغشاء للنهار، فيغطي ـ بظُلمته ـ ضياءه، كما يُغشي الليلَ بالنهارِ، فيذهب ظلمته.

﴿ يَطْلُبُهُۥ ﴾ طَلَباً ﴿ حَثِيثًا ﴾ مُسرِعاً، لا يفتُرُ عنه بحال.

وفي ذلك ـ مع التذكير للإنسان ـ تعليمٌ للإنسان، أيُّ تعليمٍ، بأنَّ كُلَّ شيء مرتبط بحكمته، موقوتٌ بوقته، لا يغيب عنه ولا يزيد.

الحقيقة الثالثة:

أنَّ الشمسَ والقمرَ والنجومَ ـ وهي ما هي في عِظَمِ شأنِها، وبُعْدِ مكانها وقوَّتها ـ مُسخَّرةٌ بأمر ربِّها.

وفي ذلك إيحاء للإنسان أن لا يتمردَّ على ما يُؤمر به، أو يُدْعَى إليه.

﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾.

وفي ذلك منفعة للإنسان، أي منفعة، وتعليم له أن يتجاوَبَ مع فطرة الكون في القيام بما خُلِقَ له ـ من عبادة ربِّه ـ طائعاً غير مُكره.

الحقيقة الرابعة:

هذا الشمول في قوله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ حقيقةٌ لا يَنِدُّ عنها شيءٌ.

له وحده ـ لا لأحدٍ غيره ـ الخَلْقُ والأمرُ.

وإليه وحده ـ سبحانه ـ لا إلى أحدٍ سواه ـ المرجعُ والمصير.

وهذه الحقيقة تُعلِّم الإنسان ـ في جميع شئونه ـ أن يكون عبداً لله، لا لأحدٍ سواه؛ إذْ لا ملجأ منه إلاَّ إليه.

obeikandi.com

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾(1) فَأَيْنَ الْمَفَرُّ؟

الحقيقة الخامسة:

ما تضمَّنه قولُه: ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

أي: كثُرت بركته واتَّسعت.

وهذه الحقيقة مُوحيةٌ للإنسان أن يُقَدِّرَ ذلك حقَّ قَدْرِه وأن يعلمَ أنه مغمورٌ بفيضٍ من نِعَمِهِ وَفَضْلِهِ، في أيِّ حال كان، في سرَّاء أو ضرَّاء، أو شدَّةٍ أو رَخَاء؛ حتى يكون ـ في جميع أمره ـ راضياً عن ربِّه، تعاظَمَ شأنُه، وتعالى قَدْره، ولا إله غيره ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

الحقيقة السادسة:

التوجُّه بالأمر إلى عباده، في قوله: ﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ أَمَرَهم ـ سبحانه ـ بالدُّعاء. وقيَّد ذلك بكون الدَّاعي متضرِّعاً بدعائه، مُخفياً له.

والتَّضرُّع: من الضَّراعة، وهي الذِّلَّة، والخشوع، والاستكانة.

والخُفْيَة: الإسرار بها؛ فذلك أدعَى للإخلاص والبُعْدِ عن الرِّياء.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

أي: الْمُجَاوِزِينَ لما أُمروا به، في الدعاء وفي كل شيء. فمَن جاوَزَ ما

(1) الزمر: ٦٧.

obeikandl.com

أمره الله به - في شيء من الأشياء - فقد اعتدى، والله لا يُحبُّ المعتدين.

الحقيقة السابعة:

﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾

بأيِّ وجهٍ من الوجوه، قليلاً كان أو كثيراً، ماديًّا كان الإفسادُ أو معنوياً؛ فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قد أصلح لنا الأرضَ من كل وجهٍ، ونَهَانَا أن نُفسدَ فيها بعد إصلاح، وأرانا كيف نُصلحُ ولا نُفسد، ونُحسنُ ولا نُسيء، بما أرسل من رسولٍ، وأنزل من كتاب.

فإذا ظهر في الأرضِ فسادٌ فهو بما كسبت أيدي الناس.

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾.[1]

الحقيقة الثامنة:

ما تضمَّنه قوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ مِمَّا يجبُ أن يكون عليه الإنسان، من الخوف والرجاء؛ ليُحسنَ ولا يُسيء ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

والله قد كتب الإحسان على كل شيء، ولم يستثن من ذلك من شيء؛ لما يتضمَّنه الإحسانُ من تجرُّدٍ، ومراقبةٍ، وإخلاصٍ، ومن تجويدٍ وإتقان.

وقد سُئِلَ الرسول ﷺ عنه، في حديث جبريل عليه السلام فقال: « الإحسانُ

---

(1) فاطر: ٤٥.

أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »[1]

واشتمال العمل على الأمرين ـ الإخلاص، والإتقان ـ هو السبيل لما يُرجَى من حُسن المثوبة والجزاء.

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ۝٣٠ ﴾.[2]

وهكذا يُخاطَبُ الإنسانُ.

ويُؤْمَر بالعبادة، والدعاء، والإصلاح، والإحسان.

وَيُنْهَى عن الفساد، والاعتداء، والإساءة.

من خلال الحديث عن الكون، والإيحاء بدلالته

للإفادة منه. لا في معاش الإنسان ومتاعه فحسب، بل للإفادة منه في اعتقاده واستقامته، وأداء أمانته التي حَملها.

ترى ذلك في أخطر قضايا الاعتقاد شأناً، وهو (البعث) بعثُ الموتى من قبورهم.

ترى الدليل على تحقُّق وقوعه يُساقُ في فطرةٍ هاديةٍ ممّا يقع في حياة الإنسان، دونَ تكلُّفٍ أو عُسر.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ

(1) مسلم: كتاب الإيمان.
(2) الكهف: ٣٠.

ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧ ﴾.[1]

يُذَكِّرُ الناس بهذه الحقيقة عن طريقِ ما يقع ـ دائماً ـ في حياتهم، من إنزال الماء، وإحياء الأرض بعد موتها.

فكما نُخْرِجُ من الأرض ما كان مَطْمُوراً فيها من حَبٍّ، بإنزالنا الماء، فنُحيي الأرض بعد موتها. كذلك نُخْرِجُ الموتى من قبورهم بعد أن غُيِّبُوا في باطن الأرض.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾[2]

وهكذا نرى الوِفَاقَ بين ما يُوحي الكونُ به، وما يدعو القرآنُ إليه من اعتقادٍ، أو استقامةٍ، أو عمل.

والإنسانُ المستبصرُ يفيد من الكون آياتٍ وآياتٍ وآياتٍ، تُحقق له ـ إنْ هو استبصر بها ـ أَبَرَّ الخِصال، وأكرمَ الصفات، في سَعيه وعمله.

وهو يرى كُلَّ شيءٍ يؤدِّي ما خُلق له، في انتظامٍ لا تفاوت ولا اختلاف فيه.

يرى الشمس تطلع عليه، ثم تغيب في وقت محدَّد، دون سبقٍ أو تأخير، فيأتيه الليلُ والنهارُ ـ لسُكناه ومعاشه ـ آية من آيات ربِّه، مُبصرة مُذَكِّرة، يتعلَّم منها ما يجب أن يكون عليه في أداء عمله، وتحقيق غايته لا خُلفَ في موعد..

---

(1) الأعراف: ٥٧.

(2) فصلت: ٣٩.

لا خَلَلَ في نظام..

لا عِوَجَ ولا مَيْلَ في اتِّباع صراطٍ مستقيم.

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.[1]

هذه الحركة الكونية الحية المتجددة، التي تتفاعل في حياة الإنسان دون توقُّف أو انقطاع، هي زادٌ متَّصل للإنسان، أيّ زاد.

لا في معاشه ومتاعه فحسب، بل في إيمانه واستقامته ويقينه.

وأنت تراها تُساق إليك في آيات تُتْلَى، تتسق مع كل ما تراه من آيات ربِّك، في الآفاق وفي الأنفس.

فلا ينعزل الإنسانُ بما يقرأُ من قرآن، بل يَسْبَحُ بنُوره في أجواء الزمان والمكان.

وهو إنْ ثَابَرَ على تلاوة القرآن فحفظه، لم تقع عينُه على شيء في هذا الكون إلاّ وتذكَّر به ما يدلُّ عليه في القرآن.

إنَّ حركةَ الكون ـ لدى أُولي الألباب ـ داعيةٌ إلى ما دعى إليه القرآن وبصَّر وأنذر.

---

(1) يس: ٣٧ ـ ٤٠.

وما أجملَ أن ترى بلاغةَ القرآن في آياته مقروءة في آفاق الكون وصفحاته.

تقرأ في القرآن:

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾.[1]

فترى ذلك في صفحةِ الكونِ، وأنت تستجيبُ لأمر ربِّك.

يتنفَّس الصبحُ، فترى فيه دلالة ما قرأتَ في القرآن عن الفَجْرِ ومن يشهده. يخبرك القرآنُ، فترى في الواقع خَبَرَهُ.

فلا ينفك الإنسان عن حديثٍ إليه، من فجرِ يومه إلى غَسَقِ ليله.

حديثٌ متواصل، تقشعر منه جلودٌ، وتؤوبُ نفوس.

ويجد الإنسانُ مُتعته وخشيته، وزينته وحقيقته، في اتِّساقٍ فطري، لا تعارُضَ فيه ولا تفاوت، ولا اختلافَ ولا تناقُض.

وذلك حين تُعرَفُ مقاصدُ القرآن، وتُؤخَذ هدايته.

وحين تُعرَف لغةُ الكون، وتُدرَك حقيقته.

عندئذٍ تتحقَّقُ الغايةُ التي من أجلها خُلِقَ الكونُ، وَخُلِقَ الإنسان.

ويهتدي الإنسانُ إلى الصراط المستقيم، الذي من أجله أُرْسِلَ الرسولُ، وحُفِظَ القرآن.

وتقوم بالإنسان ـ وهو يتفاعل مع الكون ـ حضارةٌ كاملةٌ، تُصان

---

(1) الإسراء: ٧٨.

obeikandl.com

فيها الكرامة، وتُحفظ الحقوق، وتُؤدَّى الواجبات.

ولن يكون ذلك إلاَّ باستلهام ما في الكون من دلالات، هي أعظمُ وأبقى من أن تكونَ لمجرَّدِ زينة ذاهبةٍ أو متاع.

وتدبُّر ما في القرآن من آيات هي لمصلحة الإنسان في جميع مراحله، في متاعه ومعاشه، وعاقبته ومصيره؛ حتى لا يُؤْخَذ الإنسان بظاهر الحياة الدنيا، وينسى عاقبتها، أو يُشْغَلَ بزينتها عن حقيقتها وغايتها.

من هُنا كان اتِّساقُ القرآن والكون في مخاطبة الإنسان لغايةٍ واحدة، هي مصلحة الإنسان في أن يُحقق ما خُلق له في سَعيه وعمله، وفي علاقته بغيره.

وذلك حين يعرف حكمةَ خَلْقِه، وغايةَ وجوده.

ومن تدبَّرَ فأحسن التدبر، عَلِمَ أنَّ هذه الغاية يُجملها قولُ ربِّه:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾.[1]

وذلك ما يُوحي الكونُ به، وكُلُّ شيء فيه مُسبِّحٌ بحمد ربِّه.

وما يدعو القرآنُ إليه، وهو يهدي ـ في كل شأن ـ للتي هي أقوم.

وهذه الغاية ـ والعملُ لها ـ هي التي تُحقق الضوابط التي يُحسِن الإنسان بها ولا يُسيئ، ويُصلح ولا يُفسد.

وهي التي يُصَانُ بها الفهم عن العبث ،والاعتقاد عن الباطل.

(1) الذاريات: ٥٦، ٥٧.

والعَبَثُ يكون عندما يقفُ الإنسانُ عند دُنياه، ولا يزيد.

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾.(1)

والباطلُ اعتقادٌ فاسدٌ، يُنسي صاحبَه يومَ الحساب، ويقُودُ إلى سُوء العاقبةِ والمصير.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾.(2)

وكلاهُما ـ العَبَثُ والباطل ـ يلازمهما الهوى المُضِلُّ، والأنانية الجَشِعَة، والكِبْرُ الأَبْلَه، والظُّلمُ المفسِد.

يلازمهما ما يُفسد علاقة الإنسان بأخيه، وقد قطعت علاقته بربِّه.

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.(3)

وهؤلاء لم يأخذوا من الكون دلالته وهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وإنما أخذوا متاعَه وزينتَه.

ودلالة الكون مُعبِّرة عن خالقٍ يُعْبَدُ ولا يُجْحَد. مُعَبِّرة عن رحمةٍ واسعة، ونعمة سابغة ظاهرة وباطنة.

﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

---

(1) المؤمنون: ١١٥.

(2) ص: ٢٧.

(3) المؤمنون: ٧٤.

obeikandi.com

يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾.[1]

فَلْنَر القرآن في آيات الله، في الآفاق وفي الأنفس.

لنُوقِنَ ونعمل بما نزل من الحق.

ولنتدبر أمرَ الكون في آياتٍ بيِّناتٍ من الهُدى والفُرقان.

لنُفَرِّقَ بين الحق والباطل، فنُحسن ـ في كل شيء ـ ولا نُسئ.

وسنرى القرآنَ معنا إذا تنفَّس الصُّبْحَ، أو عَسْعَسَ الليل.

سنرى القرآن يعلِّمنا كيف نُسبِّحُ بحمد الله حين نُصبح وحين نُمسي

سنراه معنا إذا أنزل الله لنا من السماء ماءً، وأخرج به ما شاء من الثمرات رزقاً لنَا.

يُعلِّمنا ـ ونحن نرى آثارَ رحمةِ الله بنا ـ ماذا نقولُ وماذا نعملُ؛ حتى لا تتحوَّل نعمةُ الله في أيدينا ـ بكُفرهَا ـ إلى نِقَمٍ علينا.

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾.[2]

سنرى القرآن معنا ـ بهدايته ـ حيث كُنَّا.

إذا سِرْنَا في البَرِّ، أو ركبنا في البحر، أو صعدنا في الجوِّ.

سنراه معنا في ضِيقٍ أو سَعَةٍ، في سرَّاءَ أو ضَرَّاء، في شدَّةٍ أو رَخَاء.

---

(1) الروم: ٦، ٧.

(2) إبراهيم: ٧.

obeikandi.com

سنراه في شئوننا كلّها، وفي أحداث حياتنا: إذا استقبلنا مولوداً، أو شيَّعْنَا مفقوداً.

سنراه ـ بهدايته ـ يعلّمنا ما يجب أن نكون عليه في أَخَصِّ ما تُكنُّه صدورُنا، ومَا نُعْلِنه.

سنراه في هذا الكون إذا هَبَّت الرِّيحُ أو سَكَنَتْ.

سنراه في البحار، أو الجبال، أو السَّحاب.

سنراه في طَيْرٍ يطير في السماء، أو في سابحٍ يسبحُ في الماء.

سنراه في حديثِ نملةٍ، أو تدبيرِ نَحْلَةٍ.

سنراه بهدايته وعِبرته وموعظته.

نراه في الأنعام ونحن نُسقَى ممَّا في بُطُونِها من بين فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالصاً سائغاً للشاربين.

كما نراه في تقلُّبِ الليل والنهار.

نراه في ركعاتِ الساجدين، واستغفار المستغفرين بالأسحار.

فما من أَمْرٍ إلاَّ وللقرآن فيه كلمة.

وما من شأنٍ إلاَّ وله فيه تبصرةٌ وموعظةٌ.

وآياتُ الله ـ في الآفاق وفي الأنفس ـ دائمة الخطاب للإنسان بما يخاطبه به القرآن.

فلا ينفَكُّ الإنسان ـ أبداً ـ من حديثٍ إليه يُوقظه من غفلةٍ، ويحفظه من نسيان.

حديث نفسه إليه وهي تُخاطبه بما فيها من آيات يستبصر بها.

تُخاطبه دقّاتُ قلبه، وآياتُ سَمعه وبصره، وبُنيانُ جسده.

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1]

لا ينفَكُّ الإنسان من مخاطبة الكون، لا لكي يعرف ربَّه معرفةَ شُعور وعاطفة، بل لكي يعرفه معرفةَ يقين وعمل، وسعي وحركة، واستقامة وخشية.

معرفة تُرَى نتائجها في جميع أمره.

معرفة تُستلهم من نظام الكون وتناسقه، والإفادة منه، في تعاونٍ لا تنافُرَ فيه، وتجاوبٍ لا خِلاَفَ معه.

لذا نرى القرآنَ كثيراً ما يخاطبنا من خلال حديثه عن الكون؛ ليظل الإنسانُ ـ دائماً ـ مُوقَظاً بالتذكرة، مُخَاطباً بالتبصرة.

وهو يرى الليلَ والنهار، والشمسَ والقمر، والأرضَ والسماء.

يرى كل ذلك ليس منفصلاً عن منفعته، أو معزولاً عن عطائه.

وإنما يراه بتأثيره وأثره، وعطائه ونفعه بإذن ربّه.

فتكون التبصرة فطرية، لا تكلُّفَ فيها.

والموعظة حسنة، لا إساءة معها.

والدعوة إلى الله حكيمة، لا عُسْرَ في فَهمها وتقبُّلِها.

وذلك منهجُ القرآن في الدعوة إلى الله.

يُخاطبك بما هو قائمٌ فيك، أو مُتَّصِلٌ بك.

من نفسك، أو من الكون، الذي لك منه قرارٌ وبناءٌ، ورزقٌ وعطاءٌ، وخَلقٌ وحياة.

---

(1) الذاريات: ٢١.

obeikandi.com

وأنت فيه ـ بعد موتك ـ وديعةٌ مُسْتَرَدَّة حين يبعثُك الله.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ
رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾.[1]

* * *

(1) غافر: ٦٤، ٦٥.

obeikandl.com

obeikandl.com